طريقة أوروبا في الحرب

قد أوشك الحلم الأوروبي على الموت في مدينة أسمها سربنتيسا. في يوليو من عام 1995 تحولت منطقة كان من المفترض أن تكون آمنة تحت إشراف الأمم المتحدة إلى قبر جماعي. لقد احتل الصرب بطريقة بشعة مدينة الينابيع المعدنية، وعلى مدى خمسة أيام عزلوا بأسلوب منهجي السكان المسلمين، وقتلوا أكثر من سبعة آلاف رجل وطفل، تاركين أجسادهم مكدسة في الحقول والمدارس ومستودعات البضائع؛ كل هذه الجرائم البشعة كانت تجري على مرأى ومسمع أصحاب القبعات الزرق الذين لم يحركوا ساكنا.

لقد عادت المجازر الجماعية لأوروبا مرة أخرى. لقد تبنى قادة الميليشيات المختلفة في يوغوسلافيا كل التكتيكات والأساليب التي رفضها المشروع الأوروبي: استخدام القوة لتحقيق مكاسب سياسية واستخدام الوطنية العرقية لتحديد الهوية، والتنظيف العرقي كطريق لتحقيق حق تقرير المصير. ولكن عندما حاول قادة أوروبا الحصول على جواب إزاء ما يجري وجدوا جعبتهم خالية من أي جواب.

لقد استخدم الصرب ببساطة ضد الاتحاد كل شيء يعتنقه؛ استغل الصرب بأسلوب منهجي ولع الأوروبيين بالقواعد والنظم فحرصوا على أن لا يطلقوا رصاصة على قوات الأمم المتحدة عندما سيطروا

علـى المدينة. هـذا يعني، بموجب قواعد الأشتبـاك التي وضعتها الأمم المتحـدة، أن الجنـود الأوروبيـين لـن يكـون قادرين علـى توجيه نيران بنادقهـم إلى الصـرب أو أن يـردوا عليهـم بغـارات جويـة؛ هذا جعل الصرب يفعلون ما يشاؤون من دون الخوف من الرد العسكري الأوروبي. الشيء ذاته وقع فيمـا يخص التسوية السلمية الأوروبية المقترحة؛ كلما تَوصـل الاتحاد الأوروبـي إلى اتفاقية كان يستخدمهـا الصـرب كوسيلة لتحقيق هدف عسكري بدلا من أن تكون خطوة للأمام نحو السلام. لقد كشف الصرب هشاشـة التسوية التفاوضية التي لا يردفها تصميم على استخـدام القوة مما سـدد ضربة مؤلمة للمشـروع الأوروبي الهادف إلى إنهـاء النزاعات بربط الدول بعملية تفاوض مستمرة ودائمة. وحتى بعد التوصل إلى السلام بواسطة القوة الأمريكية، فإن المتصارعين السابقين في يوغوسلافيا تحدوا المحكمـة الدولية التابعة للأمم المتحدة في لاهاي بسماحهم لمجرمي الحرب المطلوبين أن يعيشوا علانية في الدولة الوحيدة في العالم (البوسنة) التي تخضع مباشرة لسلطة الأمم المتحدة.

إن العـار الـذي ألحقته بنـا سربنيتسا لا يـزال يعيش معنـا اليوم، لكـن هذا العار دفع القادة الأوروبيـين لأن يطوروا طريقة حرب أوروبية (لمواجهـة هكـذا احتمـالات). وخلال أقـل من خمس سنـوات على رد أوروبا الكالح على أزمة البوسنة، نشأ جيل جديد من القادة مثل طوني بلـير وجاك شـيراك والمستشار الألماني غيرهارد شـرودر وجوكا فيشر اللذيـن سعيا لتغيـير الدستور الألمـاني لمواجهة حـالات كسربنتيسا، لا يتردد بالتدخل العسسكري في كوسوفو. هؤلاء لم يكونوا فقط مستعدين

للتدخل، مثل الأمريكيين، بل كان بعضهم مستعدا للقبول بنشر قوات على الأرض واستخدام القوة لدعم تهديدات حلف شمال الأطلسي. الأكثر أنهم لم يقبلوا استخدام القوة إلا بعد موافقة الأمم المتحدة. وبعد مرور أربعة سنوات على ذلك وافق قادة أوروبا على التدخل في مقدونيا قبل أن تنزلق تلك الدولة إلى الفوضى.

لكن النظرية الأوروبية الإستراتيجية تختلف تماما عن الإستراتيجية الأمريكية. فالقوة العسكرية هي لبناء السلام وليس لعرض العضلات؛ إن استخدام القوة قد يكون ضروريا للدفاع عن قيم أوروبا ولكن لن تكون القوة أبدا في صلب سياسة أوروبا الخارجية؛ إن نشر الجنود الأوروبيين لا يهدف إلى السيطرة على بلدان أخرى إنما لإزالة الظروف التي أدت إلى الحرب في المقام الأول. إن التدخل العسكري أولا وأخيرا يهدف إلى تغيير نسيج المجتمع الذي مزقته الحرب، ونشر السلام.

التحول من نبذ القوة إلى استخدامها لصناعة السلام

إن كراهية أوروبا لاستخدام القوة تختلف عن كراهية أمريكا الشهيرة لتحمل سقوط ضحايا في صفوف قواتها. الحقيقة، أن الجيوش الأمريكية رغم ذلك نُشرت، منذ بدء الأزمة في يوغوسلافيا، في مواقع خطرة وأن بأعداد قليلة. لقد تحمل الأوروبيون المخاطر لتوفير المساعدات الغذائية التي رأت الأمم المتحدة ضرورة إيصالها إلى مناطقها الآمنة، ولذلك مات العديد من الجنود الأوروبيين الذين يعملون تحت راية الأمم المتحدة. لكن لم يسمح لهؤلاء الجنود الأوروبيين

بالقتال؛ لم يكن المانع من القتال الخوف من رؤية الجنود العائدين بأكياس الموتى من أرض المعركة ولا عقدة فيتنام إنما عقيدة نبذ القتال وكراهيته.

هذه القناعة بالذات دفعت الأوروبيين إلى فرض حظر توريد الأسلحة التقليدية إلى كل الأطراف المتصارعة في يوغوسلافيا. لكن هذا الحظر ترك الحكومة البوسنية بحاجة ماسة للسلاح بينما البوسنيون الصرب يحصلون على دعم صربيا ويحتفظون بذلك بالتفوق العسكري. وبرر آنذاك وزير الخارجية البريطانية الموقف الأوروبي بعبارته المخجلة بأن السياسة الأوروبية ترمي إلى إيجاد: «ساحة قتل يتساوى فيها الجميع». هذا بالذات هو السبب الذي كان يقف وراء معارضة الهجمات الجوية الأمريكية. لم يخش الأوروبيون فقط على حياة جنودهم في المعركة إنما كانوا لا يريدون أي نوع من القتال؛ هذا ليس جبنا بل مبالغة في المسالمة.

تجد أوروبا نفسها وسط نمط من التفكير التقليدي للعلاقات الدولية آخذ بالظهور وصفه المؤرخ العسكري المشهور مايكل هاورد بـ «اختراع السلام». واستشهد هاورد بمقولة فقيه القرن التاسع عشر هنري ماين الذي قال: «أن الحرب قديمة قدم الإنسان بينما السلام اختراع عصري». إن فكرة السلام تختلف عما يمكن تسميته «السلام السلبي» بمعنى غياب الحرب، وتختلف أيضا عن التعريف الهوبسي الذي يرى السلام هدنة لا تشهد في اللحظة الراهنة قتالا ولا استعدادا للقتال إنما قد تندلع ثانية في الوقت المناسب. الحقيقة أن فكرة السلام الناشط وقيام نظام عالمي من السلم البناء نالت حظها الأوفر من الشرح

والتعليل في مقالة الفيلسوف كانط الشهيرة: «مقالات حول السلام الأبدي» والتي تخيل فيها كانط قيام إخوة بين الجمهوريات مبنية على رغبات شعوبها ولا تفكر على الإطلاق باللجوء للسلاح فيما بينها. وهكذا فإن الأوروبيين كانوا يعملون لتحقيق هذا النوع من النظام في العلاقات الدولية، بوعي أو لا وعي، منذ عام 1945؛ ولهذا فإن الطابع المسالم للتحرك الأوروبي في مواجهة تهجم ميلوسوفيتش كان في جزء منه نابع من الإعراض عن الأعتراف بأن هذه الرؤية المثالية للسلام لا يمكن تحقيقها.

ولهذا فإن حرب البلقان طرحت نوعا من الحرب غير المتجانسة ليس في الموارد إنما في القيم. فالصرب لم يتفوقوا على خصومهم بالمناورة لتحقيق نصر على أرض المعركة إنما استغلوا ارتباطهم بقيم المساومة. لقد تجاهل الأوروبيون مقولة كارل فون كلويتز الشهيرة حول حتمية الحرب: عندما يستعد طرف في أي نزاع لاستخدام إجراءات في غاية التطرف فإنه يتوجب على الطرف الآخر، حسبما يقول كلويتز، إما أن يحذو حذو خصمه أو يستسلم له. لقد ظن الأوروبيون أن تسوية تفاوضية سوف تسندهم من دون اللجوء إلى استخدام القوة. لكن الصرب والكروات القوميين في البوسنة كان محركهم السياسات القبلية المطلقة بدلا من سياسات التفاوض والمساومة السائدة في بقية أوروبا.

لقد ظهر بعد أهوال البوسنة جيل جديد من القادة الأوروبيين يؤمن بأن القوة يجب أن تساند القانون. وهذا التحول في المزاج عبَّد الطريق

أمام ثلاثة نظريــات من التفكير الأوروبي حول استخدام القوة الهادفة إلى إصلاح عيوب القوة الأوروبية التي انكشفت بشكل فاضح في بدايات عقد التسعينيات؛ هذه النظريات: التدخل الإنساني، التدخل ألاستباقي (الوقائي) وبناء الدولة.

من نبذ القتال إلى التدخل الإنساني

وسـط أزمة كوسوفـو في عام 1999 غادر رئيس الـوزراء البريطاني طـوني بلير بلـده متوجها إلى أمريـكا لشد عزيمة الرئيـس الأمريكي بيل كلنتـون وحثه على الثبات في النهج المتبـع. وقد وضع بلير في خطابه الذي أصبـح لاحقا شهـيرا والذي ألقاه في نادي شيكاغـو للصحافة، وضع بلير نظريـة التدخـل الإنســاني. كانـت نظرية التدخـل الإنســاني جوابا على الصعوبـات التي تواجهها نظريـة المسالمة الإنسانيـة (الأوروبية) النـابذة للعنف والتي عرتها أحداث مثل سقوط سربنينتسا. وبتدخل الأوروبيين في كوسوفـو فإنهم وضعوا التدخل العسكـري ضمن وعاء يشمل أساليب عدة مثل الدعم الدبلوماسي والإعانة والمساعدة في الإدارة والحكم والعقوبات. لقد أظهر الأوروبيون تحولا مؤثرا في هذا التوجه فضاعفوا أعداد جنودهم الذين أرسلوهم إلى خارج بلدانهم في العقد الأخير من الزمن.

لقـد وصل معدل عدد الجنـود الأوروبيين المنتشريـن خارج الاتحاد الأوروبـي وحلـف شمـال الأطلسي (النـاتـو) سبعين ألـف جنديا خلال عـام 2003 ليرتفع إلى 90 ألـف جندي أثناء نشر القـوات البريطانية في العراق. هذه القوات نشرت في أكثر من عشرين بلدا في شرق جنوب

أوروبا وأفغانستان ووسط آسيا وفي العراق والخليج وأفريقيا. وفي عام 2003 بدأ الاتحاد الأوروبي أول نشر بعيد المدى جغرافيا لقواته في شرق الكونغو في عملية تدعى «عملية أرتيميس» وذلك بناء على طلب من الأمين العام للأمم المتحدة. فقد طلب الأمين العام من الاتحاد نشر ألف وأربعمائة جندي في غضون سبعة أيام في مدينة بونيا لإحلال الأستقرار في المنطقة ريثما تتمكن الأمم المتحدة من تجميع قوات دولية لتحقيق هذا الهدف.

هذه القوات الأوروبية لم تستقر في قواعد في أنحاء مختلفة من العالم لتدافع عن خطوط أنابيب النفط أو المصالح الاقتصادية أو الحفاظ على توازن القوى بل كانت تعمل دائما تحت علم الأمم المتحدة لدعم أهداف إنسانية. وقد أظهرت الإستراتيجية الأوروبية التي وقعت في عام 2003 أن الأوروبيين يستعدون أصلا للتحديات القادمة لا سيما وأن التوسع في الاتحاد سيقرِّبه أكثر إلى «قوس اللاستقرار» في خاصرتيه الجنوبية والشرقية بدءا من أغادير على الأطلسي إلى أسترخان على البحر القزويني. وعندما تنضم رومانيا وبلغاريا ودول البلقان الغربية وتركيا فإن أوروبا تكون بحاجة لأن تتعامل مع جيران منهم إيران والعراق وجورجيا ومولدوفيا وبيلاروس.

التدخل الوقائي

بعد أزمة البلقان الكارثية وافق قادة أوروبا على إستراتيجية جديدة حتمية: التدخل المبكر. الهدف من هذه الإستراتيجية هو استخدام

obeikandl.com

القـوة الأوروبية طالمـا أن ثمة فرصة لنجاحها وقبـل أن تصبح التسوية السياسيـة مستحيلـة، ولضمـان وجود تهديـد جدي باستخـدام القوة لكـي يتيسر للتسوية مقومات الصمود والاستمـرار. هذا الأمر لخصته المحادثـات الأمنية الإستراتيجية الأوروبية عـن التدخل الوقائي والذي كان جوابـا مباشرا على نظرية «الحرب الوقائيـة» التي تبناها الرئيس الأمريكي جورج بوش.

المفارقـة بـين النظريتين شاسع جـدا. تحاول نظرية بوشـ أن تبرر العمـل العسكري لإزالة التهديـد وذلك قبل أن يُستخـدم ضد الولايات المتحـدة. ولذلـك فـإن هـذه النظريـة ركـزت كثـيرا علـى القـدرات والامكانيـات المادية المحسوسة وضرورة أن يكـون تنفيذها سريعا وان تكـون معالجتها للتهديـد قصيرة النظر وأن يكـون إعتمادها على الرد العسكـري كلي وحاسـم. أما نظرية التدخـل الأوروبيـة الوقائية فهي، بالمقارنة، موضوعة للمدى البعيد ويمثل الجانب العسكري أحد أوجهها إلى جانب التدخل الوقائي الأقتصادي والقانوني وتهدف إلى بناء اسس سياسية ومؤسساتية للاستقرار بدلا من إزالة مصدر التهديد فورا.

إن نظريـة التدخل الأوروبية ليست إلا محاولة للتخلص من مخاطر الرؤية المثالية التي تعيشها. كانت أوروبا في الماضي مشغولة جدا في بناء عملتها الأوروبية الموحدة وتغيير مؤسساتها التي جعلت جيرانها ينزلقون إلى الفوضـى. لقد وعى قادة أوروبا الآن أنـه لا يمكن للاتحاد أن يكون مزدهرا طالما أن أراضي جيرانه مرتعا للحروب والاقتتال العرقي. لكن الواقـع الآن يحتم التدخل مبكرا بقدر الإمـكان، كما حدث في مقدونيا

(عملية كونكورديا التي نشر فيها الاتحاد قواته) في عام 2003، والشروع بمفاوضات وبناء مؤسسات بهدف إبعاد الفرقاء المتحاربين عن بعضهم، ونزع سلاح الميليشيات والحيلولة دون تجذر حرب عرقية قومية. والحقيقة أن التدخل الوقائي قبل وقوع التهديد ليس فقط أكثر فاعلية إنما أيضا أقل تكلفة. والفارق بين الرد البطيء والكارثي على الحرب في البوسنة والرد السريع والأكثر تصميما في كوسوفو، وكذلك التدخل في مقدونيا قبل أن تنزلق إلى الفوضى كان واضحا ومميزا في عدد الضحايا والتكلفة المالية: كانت تكلفة الفشل في البوسنة على دافع الضريبة البريطاني على الأقل 1.5 بليون بينما تكلفة التدخل في كوسوفو 200 مليون فقط و 14 مليون في مقدونيا.

إستراتيجيات التدخل وليس إستراتيجيات الخروج

من النادر أن يفكر الأوروبيون باستخدام القوة قبل أن يخططوا كيف سيضعون الأمور ثانية في نصابها الصحيح. وبينما يتحدث معظم صانعي السياسة الأمريكية عن بناء الشعوب فإن الأوروبيين لهم رؤية مختلفة تدعى «بناء الدولة». والتحدي الذي أبرزته دروس البوسنة والعراق وأفغانستان وفي العديد من الدول الأفريقية هو أن القضية لا تتعلق ببناء الشعوب إنما ببناء الدول وغالبا في دولة يتحتم على عدة أمم وقوميات التعايش داخلها. ففي البلقان كانت الحاجة ماسة لوضع أسس سياسية قادرة على احتواء القومية والوقوف بوجهها بدلا من أن تغذيها.

بالنسبة للأوروبيين فإن الهدف من التدخل الوقائي ليس الدخول

إلى البلـد المعنــي والخـروج منه بسرعة، بـل حمل تغيـيرات إليه، وإذا مـا كان هـذا البلـد في أوروبا، فلا بد مـن وضعه على طريـق يقوده في نهايـة المطاف إلى الأنضمام للاتحاد الأوروبي. لقد بقت أصلا المحمية الدوليـة (قـوات الأمم المتحـدة وإدارتهـا) في البوسنة مـدة أطول من احتـلال الحلفاء العسكـري الشامل لألمانيا بعد عـام 1945، ومع ذلك لا تزال إمكانية اعتماد البوسنة على نفسها بعيدة المنال. إن هدف بناء الدولـة في البوسنـة والآلية المتبعة مصممـة على أسـاس أنها في نهاية المطـاف ستدخل في الإتحـاد، ولذلك كان بناء المؤسسـات وإقامة حكم القانون وإصلاح الأقتصاد بالإضافة إلى تشجيع اللاجئين على العودة.

بعد انحسار القتـال فاوض الاتحاد الأوروبي بسرعة مع دول بلقانية عدة اتفاقيات تجارية أحادية تتضمن تنازلات أدت إلى اتفاقيات تعاون واستقرار. مرة أخرى، فإن هذه الأتفاقيات بدأت تصيغ البنية القانونية والهندسـة السياسية لتلك الـدول على نهج ومقياس الأسرة الأوروبية (Acqui communautaire). وهـذا النهج أُعطي الصفة الرسمية في عام 2002 عندما أصبح بادي آشدون، (زعيم حزب الديمقراطيين الأحـرار البريطاني) مفوض الأمم المتحدة السامـي، ممثلا للاتحاد الأوروبـي في البوسنة معبدا بذلك الطريـق أمام إمكانية الأنضمام إلى الاتحاد الأوروبي في النهاية.

يعتمـد نهج بناء أوروبا للدولة على إعطاء الحوافز إلى جانب تطبيق القـوة العسكرية والسياسية الصرفـة؛ هذا يتطلب عملا شاقا كما أثبت الوضع الهش في كوسوفـو. لكن الاتحاد باستخدامه القوة لتطبيق الأمن

على الأرض وجد أن هدفه الأساس بوقف النزاع له حظ أوفر من النجاح من خلال وعود الضم إلى الاتحاد الأوروبي والمفاوضات المؤسساتية.

الهرب من ظل النظرية العسكرية الأمريكية

إن القاسم المشترك الذي يُحفِّز النقاشات الأمريكية حول الإستراتيجية الأوروبية الأمنية هو الشعور بالإحباط إزاء فقدان أوروبا للقدرة وتمنع حكوماتها عن إنفاق ما ينفقه الأمريكيون على الدفاع. لكن المشكلة الحقيقية ليست في الأنفاق: تنفق خمسة وعشرون حكومة أوروبية مجتمعة ما مقداره 180 بليون يورو تقريبا على الدفاع لتحتل بذلك المرتبة الثانية بعد أمريكا التي تنفق 330 بليون يورو. ولكن، كما لاحظ كثيرون، فإن الأوروبيين لا يحصلون إلا على جزء بسيط من الصخب مقارنة بالأمريكان. وبينما تستطيع الولايات المتحدة إرسال أربعمئة ألف جندي إلى أنحاء مختلفة من العالم من أصل ستمئة وخمسين ألف جندي فإن الاتحاد الأوروبي بالكاد يرسل خمسة وثمانين ألفًا من أصل مليون ومئتي ألف جندي. وعندما يصل الأمر إلى التجسس عبر الأقمار الصناعية وطائرات الشحن والسفن الحربية والصواريخ الموجهه بالليزر فإن الأوروبين يتخلفون بأميال عن الأمريكيين.

لكن هذه المقارنات المستمرة مع الأمريكيين لا تساعد على الإطلاق لسبب أن الأوروبيين لن يحتاجوا للقتال أبدا ضد الأمريكيين. يستطيع الأوروبيون أن يبنوا السلام من خلال التدخلات العسكرية من دون الحاجة إلى تقليد طريقة الحرب الأمريكية.

صحيح أن الحكومات الأوروبية لم يكن لديها الخطط والمعلومات التجسسية واسلحة ذات دقة عالية في إصابة الأهداف مثل الأمريكيين ولكن كان بوسعهم خوض هذه الحرب بطريقة مختلفة وذلك بتركيز أكبر منذ البداية على الأستعداد للحرب البرية. وقد قارن الباحث لورانس فريدمان بين مأزق الأيرانيين في عقد الثمانينيات الذين أمضوا ست سنوات خارج البصرة لا يستطيعون اختراق خطوط الدفاع العراقية، وحملة البريطانيين في عام 2003 التي أدت إلى احتلال البصرة في ثمانية أيام فقط. هذا يظهر أن القوات الأوروبية قادرة تماما على مجابهة أكثر الأعداء احتمالا وهزيمتهم. الحقيقة أن طريقة الحرب الأوروبية، بطرقها المختلفة، قد تكون أكثر ملائمة من الطريقة الأمريكية. لقد أظهرت الحملة في كوسوفو أن خوض حرب من سماء علوها خمسة عشر ألف قدم قليلة الفاعلية. لقد سرَّعت حملة القصف الجوي الأزمة الإنسانية ولم تكن معدة لمقاتلة الثوار في التلال. وقد أشار العديد من المعلقين إلى أن النظرية العسكرية الأمريكية غير فاعلة: إعداد الجيش للقتال ضد أخطار كبيرة في زمن حروبه كلها صغيرة وغير تقليدية.

فالحرب في البلقان والصومال وأفغانستان والعراق والشيشان ليست ضد جيوش نظامية تملك السفن الحربية والطائرات والمدرعات، إنما هي حرب تخاض من شارع لشارع ومن بيت لبيت ضد ثوار ومقاتلين محليين. ولهذا فإن الجيش بحاجة لأن يكون قادرا على احتلال أرض والسيطرة عليها في وجه مقاومة السكان المحليين. وكما أشار أناتول

ليفـين فـإن التحدي في وضـع كهذا ليسـ الكثير من كثافـة النيران بل قليلهـا. والواقع يشير إلى أن هوس الأمريكيـين بكثافة النيران وحماية القوات من المرجح أن يؤدي إلى وقوع أعداد كبيرة من الضحايا المدنيين.

والفـارق بين النهـج الأمريكـي والأوروبي برز في العـراق. لقد أدت عمليـات مواجهـة الثوار في بغـداد إلى دفع جميع السـكان المدنيين إلى معارضـة الأحتـلال بينما النهج البريطاني في البصـرة كان يقوم على محاولـة فصل الثوار عـن السكان المحليين. والأوروبيـون في هذا النهج أفضـل مـن الأمريكيين لسبـب أن أساس خبرتهـم العسكرية تكمن في عمليات حفظ السلام وتوفير الأمن بدلا من خوض حروب تقليدية.

يحتاج الأوروبيون إلى الأستثمار بسرعة في قدراتهم العسكرية ولكن يجـب أن يفعلوا ذلك وفق شروطهم الخاصة. فقـد اتفق الأوروبيون في القمـم الأخـيرة على إنشاء «فـرق مقاتلة» بالإمـكان نشرها في غضون أيـام لوقف حروب أهلية، وقوة تدخـل سريع قوامها ستون ألفًا تنشر في غضـون ستين يومـا، ووزير خارجية أوروبي لتنسيـق سياسات مختلفة، وإستراتيجيـة أمنيـة أوروبيـة ووكالة قـدرات دفاعية أوروبيـة. ويشعر الخبـير الدفاعـي الأمريكـي مايـكل أوهانلـون بالتفـاؤل إزاء قدرات أوروبا، فيقول: أن الأوروبيين بإنفاقهم أكثر بقليل يستطيعون أن يعززوا قدراتهـم بأشواط بعيدة. ويستطيع الأوروبيون بتحويلهم فقط عشرة ٪ مـن ميزانياتهم الدفاعية لشراء أنـواع معينة من المعدات مثل طائرات الشحـن بعيدة المـدى والسفن وطائرات بـلا طيـار، وصواريخ موجهة بالليـزر؛ في غضون عقد من الزمن فإن الأوروبيين يكونون قادرين على أن ينشروا مئتي ألف جندي مدربين تدريبا عاليا في أي مكان في العالم.

والطريقة لتحقيق ذلك هو بتخفيض عدد القوات بنسبة الربع والتركيز علـى تطويـر جيوش قتالية مدربـة تدريبا عاليا. هذا هـو التوجه الذي يسير به ببطء الأوروبيون.

لقد تعلم الأوروبيون بألم أن ترويج السلام يستدعي في بعض الأوقات الذهاب للحرب. ولكن حتى مع تطوير القدرات الدفاعية الأوروبية فإن الأوروبيـين سيعتمدون علـى استخدام القوة بنسـب أقل من دول كبرى أخـرى لصياغة العـالم. ما يجعل الاتحاد الأوروبـي فريدا من نوعه هو قدرته على توحيد مساعداته الإغاثية والتجارية والتنموية للحيلولة دون انـزلاق المناطق الساخنـة إلى حرب أهلية. إن قـوات الاتحاد لا تنطوي فقط على جنود مقاتلين بـل على جيش من الدبلوماسيين قوامه خمسة وأربعـون دبلوماسيا وخمسة آلاف شرطـي وألفي عامل إغاثة بالإضافة إلى مجموعات من الأختصاصين القضائيين ومراقبي الأنتخابات.

لقـد أبرزت الفصول الأربعـة السابقة من الكتـاب كيف أدى غياب الخيـار العسكـري الأوروبي بالإتحاد الأوروبـي إلى تطوير طرق خلاقة لصياغـة العالم من حوله من خـلال نشر قوانينه ودعمهـا بقوة سوقه الاقتصاديـة. إن النجاح الحقيقي للسياسة الخارجية الأوروبية لا يزال يكمن في تجنب القتال بأي ثمن.